سلسلة الخطب المنبرية
منبر الريان

حاسب نفسك قبل أن تحاسب

خطبة ألقاها ثم هذبها وزاد عليها الشيخ

د. طالب بن عمر بن حامد بن حيدرة الكثيري

أستاذ الفقه المشارك بجامعة سيئون





talebkh33

تهيئة :

الحساب منه اليسير ، ومنه العسير ، منه ما يكون على العمل الكبير ، ومنه ما يكون على الصغير والفتيل والنقير، وحبة الخردل ووزن الذرة، منه العدل ومنه الفضل ، منه ما لا يحتسبه العبد ، ومنه ما يتكرم به الرب ، والذي يتولى ذلك كله ، هو أكرم الأكرمين .

فهلّا تصوّرنا مشهد الحساب : يأذن الله عزوجل بخراب كل سماء ، وينزل ملائكتها ويحيطون بالناس ﴿أَيْنَ الْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ [القيامة: ١٠-١٢].

والكل ينتظر ! ، فما الذي يجري الآن : ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠].

وإذا جاء الله يوم القيامة ماذا سيحدث : ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ [الزمر: ٦٩].

فإذا وضع الكتاب ، ماذا نجد فيه ! : ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

فإذا رأت كل أمة كتابها ! ، ماذا تفعل ! : ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٨].

فإذا وقفوا بكتابهم عند ربهم ! ، فما الذي سيكون ! : ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٠].

وإذا جاء الله يوم القيامة ماذا سيحدث : ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ [الزمر: ٦٩].

فإذا رأوا العذاب ، ماذا يقال لهم : ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ [الشعراء: ٩١-٩٢]

فإن سألوا هذا السؤال : ماذا يفعلون ! : ﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ [القصص: ٦٤]

وبأي شيء يعترفون إذا دخلوا جهنم ! ، وسألوا : ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ [المدثر: ٤٢-٤٦].

وبدأ حساب الذنوب :

﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا. اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[الإسراء: ١٣-١٤]. **وماذا يجد في كتابه ؟**

يجد كل ما قدمت يداه مهما أخفاه، ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾[لقمان: ١٦]

يجد مقدار الذرة : وهي الهباءة التي تُرى في أشعة الشمس إذا دخلت من الطاق ، والفتيل : وهو الخيط الذي يكون في شق النواة ، والنقير : وهو النقرة الصغيرة التي تكون في ظهر النواة.

ويزداد الأمر شدة إذا علم أن على كل ذنب شاهد :

فيشهد الرسول ، والملك ، والمكان ، والزمان ! ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾[هود: ١٨]، **بل "يقال للعبد : الآن نبعث عليك شاهداً عليك ، ويتفكر في نفسه ، من ذا يشهد عليّ؟ فيختم الله على فيه ، ويقال لفخذه ولحمه وعظامه : انطقي ، فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله ، وذلك ليعذر من نفسه ، وذلك المنافق الذي يسخط الله عليه".**

فتحاسب عليها ذنبًا ذنبًا ، ذنوب الأسماع والأبصار والأفئدة ، ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾[الإسراء: ٣٦]، **فاللهم سلم سلم ، لكن أبشر يا من استترت ، ولم تجاهر بذنبك : فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله يقول : (إن الله يدني المؤمن ، فيضع عليه كنفه ، ويستره ، فيقول : أتعرف ذنب كذا ، أتعرف ذنب كذا؟ فيقول : نعم أي رب ، حتى إذا قرره بذنوبه ، ورأى في نفسه أنه هلك ، قال : سترتها عليك في الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم ، فيعطى كتاب حسناته ، وأما الكافرون والمنافقون فيقول الأشهاد :**
﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[هود: ١٨].

وفي صحيح مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : "إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولاً الجنة ، وآخر أهل النار خروجاً منها ، رجل يؤتى به يوم القيامة ، فيقال : اعرضوا عليه صغار ذنوبه ، فيقال : عملت يوم كذا وكذا ، وعملت يوم كذا وكذا ، كذا وكذا ، فيقول نعم : لا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه ، فيقال له : فإن لك مكان كل سيئة حسنة ، فيقول : رب ، عملت أشياء لا أراها ها هنا" ، فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه.

فالله الله في ترك المجاهرة بالذنوب ، وفي السرعة في التوبة منها .

فهل أدخل بعدها الجنة !!

ويبدأ حساب الأعمال الصالحة:

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣]. **فعن ماذا يُسأل:**

في جامع الترمذي عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه أن رسول الله صل الله عليه وسلم قال: "لا تزول قدما عبد يوم القيامة، حتى يسأل عن: عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه ؟ وعن جسمه فيم أبلاه؟ ".

ويزداد الأمر شدة إذا علم أنه لا يسأل عن العمل فقط، بل يسأل كذلك عن الإخلاص لله فيه:

"فيقول الله للقارئ: ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي؟ قال: بلى، يا رب، قال: فماذا عملت فما علمت؟ قال: كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار، فيقول الله له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول الله له: بلأردت أن يقال: فلان قارئ، وقد قيل ذلك".

وأول ما يسأل عنه من عمله، أيّ شيء ؟: عند الترمذي والنسائي عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله يقول: "إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر".

فسنحاسب عليها صلاةً صلاةً، صلاة يوم كذا، وصلاة يوم كذا، وكم أنقصنا منها، ولن يكتب لنا منها إلا ما عقلته قلوبنا، وخشعنا فيه، ماذا تَحسِب ! إنه العهد، ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾[الإسراء: ٣٤]،

اللهم سلِّم سلِّم، لكن أبشر يا عبد الله

ففي سنن أبي داود عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم قال: (إن أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة، قال: يقول ربنا عز وجل لملائكته: انظروا في صلاة عبدي، أتمها أم نقصها؟ فإن كانت تامة كتبت له تامة، وإن كان انتقص منها شيئاً، قال: انظروا، هل لعبدي من تطوع، فإن كان له تطوع، قال: أتموا لعبدي فريضته من تطوعه، ثم تؤخذ الأعمال بعد ذلك).

فهل أدخل بعدها الجنة !!

ويبدأ حساب النعيم :

﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾[التكاثر: ٨] **فأيّ نعيم نحاسب عليه ؟ :**

قال سعيد بن جبير: حتى شربة عسل، قال الحسن البصري: من النعيم الغذاء والعشاء، قال أبو قلابة: من النعيم أكل السمن والعسل بالخبز النقي، قال مجاهد: كل لذة من لذات الدنيا، قال ابن عباس رضي الله عنهما: النعيم صحة الأبدان والأسماع والأبصار.

فما أول نعيم سنحاسب عليه ؟ :

في جامع الترمذي بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن أول ما يسأل العبد عنه يوم القيامة من النعيم أن يقال له: ألم نصح لك جسمك؟ ونروك من الماء البارد".

ويزداد الأمر شدة إذا علم العبد أنه سيسأل كذلك عن تفاصيل النعيم:

في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "يلقى الرب العبد فيقول: أي فُل، ألم أكرمك، وأسودك، وأزوجك، وأسخر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس وتربع؟"، وفي حديث آخر: "ويؤتى بصاحب المال، فيقول الله: ألم أوسع عليك، حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟".

ويحاسب عليها العبد نعمةً نعمةً، غداء يوم كذا، وعشاء يوم كذا، ماذا تحسِب !، ولأيّ شيء تشققت السماء، وتزلزلت الأرض، ونُسفت الجبال .

اللهم سلِّم سلِّم، لكن أبشر يا عبد الله

ففي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :
"إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة، فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها".

فهل أدخل بعدها الجنة !!

ويبدأ حساب حقوق الخلق:

﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[الجاثية: ٢٩].

فعلى أيّ حقوق يحاسب!:

في صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله تعالى يقول يوم القيامة: يا ابن آدم، مرضتُ فلم تعدني، قال: يا رب، كيف أعودك، وأنت ربُّ العالمين؟، قال: أما علمتَ أن عبدي فلاناً مرض، فلم تعده، أما علمتَ أنك لو عدته لوجدتني عنده؟، يا ابن آدم، استطعمتك، فلم تطعمني؟، قال: يا رب، كيف أطعمك، وأنت رب العالمين؟، قال: أما علمت أنه استطعمتك عبدي فلان، فلم تطعمه؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟، يا ابن آدم، استسقيتك، فلم تسقني؟، قال: يا رب، كيف أسقيك، وأنت رب العالمين؟، قال: استسقاك عبدي فلان، فلم تسقه؟ أما علمت أنك لو سقيته وجدت ذلك عندي".

وأول تلك الحقوق:

ما جاء عند الطبراني بسند حسن عن عقبة بن عامر ﷺ أن النبي ﷺ قال: "أول خصمين يوم القيامة جاران".

ويزداد الأمر شدة إذا علم العبد أن الجار لن يسأل الله أن يعاقب جاره لأنه آذاه، بل لأنه منعه حقه:

فعند البخاري في الأدبَ المفرد عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: "كم من جار متعلق بجاره يوم القيامة، يقول: يا رب، هذا أغلق بابه دوني، فمنع معروفه!"، وفي رواية: "فمنع فضله".

فتحاسب على حقوق العباد، حقًا حقًا؛ هذا مرض، هذا جاع، هذا احتاجك، هذا جارك، هذا رحمك، هذا والدك، ولأيّ شيءٍ شاب الوالدان، ووضعت كل ذات حملٍ حملها،

اللهم سلّم سلّم، لكن أبشر يا عبد الله

ابحث عن معسر، أقرضه، ثم تجاوز عنه، ففي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: "كان رجل يداين الناس، وكان يقول لفتاه: إذا أتيت معسرًا فتجاوز عنه، لعل الله عز وجل يتجاوز عنا، فلقي الله فتجاوز عنه".

فالله الله في عون الناس، والعفو عنهم.

فهل أدخل بعدها الجنة!!

ويبدأ حساب مظالم الخلق، ومشاهد القصاص:

يقول النبي ﷺ: "لتؤدنَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء".

فعلى ماذا يحاسب ؟:

في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإذا فنيت حسناته، قبل أن يقضي ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار".

وما أول ما يحاسب عليه من مظالم الخلق ؟ :

روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء"، وعند الترمذي وأبي داود وابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: "يجيء المقتول بالقاتل يوم القيامة، ناصيته ورأسه بيده، وأوداجه تشخب دماً، فيقول: يا رب، سل هذا فيم قتلني؟ حتى يدنيه من العرش".

ويزداد الأمر شدة إذا علمت طريقة الحساب :

ففي جامع الترمذي عن عائشة رضي الله عنها، قالت: جاء رجل، فقعد بين يدي الرسول ﷺ، فقال: يا رسول الله، إن لي مملوكين يكذبونني، ويخونني، ويعصونني، وأشتمهم وأضربهم، فكيف أنا منهم؟، فقال رسول الله ﷺ: "إذا كان يوم القيامة يُحسَب ما خانوك وعصوك وكذبوك، وعقابك إياهم، فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافاً لا لك، ولا عليك، وإن كان عقابك إياهم دون ذنبهم كان فضلاً لك، وإنكان عقابك إياهم فوق ذنوبهم، اقتص لهم منك الفضل"، فتنحى الرجل، وجعل يهتف ويبكي، فقال له رسول الله ﷺ: "أما تقرأ قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]"

فنحاسب على ظلم الخلق، مظلمةً مظلمةً؛ مظالم يوم كذا، وسنة كذا، وقد غضِب الله غضبًا لم يغضب قبله مثله قط، ولن يغضب بعده مثله قط، اللهم سلِّم سلِّم، ولكن أبشر يا عبد الله :

تستطيع التدارك اليوم، ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء، فليتحلل منه اليوم، قبل أن لا يكون دينار ولا درهم؛ إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه، فحمل عليه".

فبادر بالتحلل من كل من ظلمته

فهل أدخل بعدها الجنة !!

بل يبدأ مشهد الميزان ؟، بعد تسجيل جميع ما قدمت وأخرت:

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾[الأنبياء: ٤٧]. وما الذي يوزن فيه ؟ :

توزن كل حسنة وكل سيئة عملتها، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[الزلزلة: ٧، ٨].

ويزداد الأمر شدة إذا علمتَ ما هو ميزان يوم القيامة ؟:

فقد روى الحاكم عن سلمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "يوضع الميزان يوم القيامة، فلو وزن فيه السماوات والأرض لوسعت، فتقول الملائكة: يا رب لمن يزن هذا؟، فيقول الله تعالى: لمن شئتُ من خلقي، فتقول الملائكة: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك".

فتوزن حسناتك حسنةً حسنة، وسيئاتك سيئةً سيئة، وتتأرجح الكفتان،

اللهم سلّم سلّم، لكن أبشر يا عبد الله

فقد أخرج أبو داود والترمذي عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "ما يوضع في الميزان يوم القيامة أثقل من حسن الخلق"، وفي صحيح مسلم عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "والحمد لله تملأ الميزان".
فالله الله في الإكثار من حمد الله، والتعامل مع الناس بحسن الخلق .

فهل أدخل بعدها الجنة !!

بعدها تمر على الصراط إن أكرمك الله بالمرور عليه،
ثم تحبس !!، فماذا بقي، لماذا أحبس ! :

في صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: "إذا خلص المؤمنون من النار، حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار، فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا نقوا وهذبوا، أذن لهم بدخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده، لأحدهم بمسكنه في الجنة أدلّ بمنزله كان في الدنيا".

فلا تحمل غلاً على مسلم، واتركه اليوم،
قبل أن يحبسك غداً، ويؤخرك عن دخول الجنة .